الحكمة من وجود الشر

الباحث/ عبدالله بن حمد الركف

إن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأزكى المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾ [التغابن: ٣]، ويقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٦]، ويقول تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا**﴾ [ص: ٢٧]، فكل خلق الله حق، لأن الخالق حق، وقد خلق الله جميع مخلوقاته لحكمة، فهو الحكيم الخبير العليم، علمها من علمها وجهلها من جهلها، وحيث إن العالم البشري كله يشهد في هذا العصر من الاضطراب والضياع والفوضى في المفاهيم والمثل والمبادئ، شملت حتى الأديان، فهبت رياح الشبهات من كل جانب، وأصبح الشك وعدم التسليم يصادم قطعيات الدين، فكثرت العقول التائهة، والقلوب الحائرة، والتي بعضها يبحث عن جواب رشيد يأخذ بيدها إلى بر السكينة وبرد اليقين.

ومن هذه المسائل التي كثر الحديث عنها في السنوات الأخيرة، مسألة **الحكمة من وجود الشر**، وما هو الشر أصلاً، وكيف يكون الشر مخلوقا من مخلوقات إله رحيم عليم قدير؟ وغير ذلك من التساؤلات التي يخبرك ظاهرها قبل باطنها أن الحيرة بدأت تدب في نفوس السائلين، ومن باب المساهمة في الخير كان هذا البحث الذي قسمته على مدخل وأحد عشر مسألة ثم الخاتمة، والله أسأل أن ينفعنا وينفع بنا، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

مدخل:

منذ العصور القديمة مثل وجود الشر في العالم مشكلة نظرية محيرة، وقد قامت محاولات كثيرة لتفسير الحكمة من وجوده، والبحث عن مسوغ لوجوده، وقد نوقش مفهوم الخير والشر في كل الديانات القديمة، كالسومرية والأكادية والكلدانية والآشورية والزرادشتية، والمانوية والمزدكية وغيرها[١]. فمسألة الشر كانت وما تزال تمثل تحدياً للإنسان على امتداد التاريخ البشري، نظرا لتعقيداتها وهيمنتها على الواقع الإنساني، فالشر ليس مسألة تأملية بحتة، بل هي واقع معيش ومشكلته تتعلق بالفعل والسلوك، فإذا تجاهلنا أصل الشر، فهل يمكن تجاهل نتائجه؟[٢] والمتابع للدراسات والأبحاث يجد أن هذه المسألة أخذت حيزاً كبيراً منها، فمثلاً: بلغ عدد الدراسات التي كتبت عن مشكلة الشر في المدة الممتدة من ١٩٦٠م إلى ١٩٩٠م فقط، ٤٢٠٠ دراسة[٣]. وهذا السؤال تم إعادة طرحه على الساحة الفكرية بقوة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بعدما علا صوت الإلحاد الجديد !

إن وجود الشر يعد مشكل من جهتين، من جهة حقيقة وجود الشرور، ومن جهة التوفيق بينها وبين الإيمان بإله كامل الصفات ومطلق القدرة[٤]. وهذا منطلق الشبهة الأساسية والمركزية المسببة للإلحاد، حيث يكون وجود الشر هو المادة الأولى في السجال بين الإيمان والإلحاد، ويعد السؤال الإلحادي الشعبي الأكثر رواجا بين الناس[٥]. بل ويصرح أكثرهم أن سبب إلحادهم هو شبهة مشكلة الشر[٦].

ويعود السبب في ذلك؛ لأن مشكلة الشر هي المشكلة التي يفهمها جميع الناس بكافة مستوياتهم، لأنها يمكن أن تمس حياة أي إنسان، ولذلك وصفت بأنها صخرة الإلحاد[٧].

ويلخص الملحدة حجتهم في مسألة الشر؛ بأن الله إذا كان موجودا، وهو إله مطلق القدرة، وكامل العلم، ومطلق الخيرية والرحمة، فكيف يكون الشر موجوداً؟! وقد وجد هؤلاء المنكرون أن صفة الرحمة تتناقض مع وقائع الشرور في هذا العالم، هل ما يحدث خارج عن إرادته تعالى جل شأنه وعظمت قدرته؟ أم أنه أراده وقبله وسهل

---

[١] انظر: مشكلة الشر في الفكر الغربي الحديث والمعاصر، أحمد المحمد، جامعة دمشق، كلية الشريعة، ٢٠١١ م، رسالة علمية غير منشورة، ص٥.

[٢] مشكلة الشر في فلسفة ريكور، د. سامي شهيد مشكور، وافتخار عبد صالح، مجلة آداب جامعة الكوفة، الجزء الأول، العدد: ١٨، ٢٠١٤م، ص٣٧٤.

[٣] انظر مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، ص٢٠.

[٤] See: McCloskey, the Philosophical Quarterly, Vol. ١٠, No. ٣٩, April ١٩٦٠, p. ٩٧

[٥] انظر: مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، ص١٩.

[٦] See: Antony flew, There is a God, How the world's most notorious atheist changed his mind, New York Harperone, ٢٠٠٧, p. ١٣

[٧] See: Küng, Hans. ١٩٧٦. On Being a Christian, trans. Edward Quinn. Garden City, New York: Doubleday p. ٤٣٢.

حدوثه؟ وبذلك نتشكك في صفة الرحمة التي وصف بها الله تعالى جل وعلا نفسه؟![1] فخيرية الله سبحانه تستوجب استحالة أن يكون هو مصدرا لكل هذه الشرور في العالم، وكونه قادراً يبعث على التساؤل لماذا لا يرفع هذه الشرور من العالم[2].

إن سبب تزايد الشبهة هو سيادة المنطق المادي في حياة الناس، فالكل معترض وغير راض بما قسمه الله له!، وهذا الدافع المادي جعل الناس تؤمن بأن الدنيا دار مقر لا دار ممر، فأصبحوا يتذمرون ويتطلعون لانتهاء كل فصول القصة التي خلق الناس من أجلها في هذه الحياة الدنيا!

وفي المقابل نجد أن مشكلة الشر لم تكن عبر التاريخ سؤالاً عنيداً بالنسبة للمسلم الصادق الذي يسلم للنصوص ويرفض التعسف في الجمع بين دلالاتها[3]. فالمؤمن يؤمن بدون تكلف أن وجود الشر في العالم لا يناقض صفة الكمال الإلهي، ولا صفة القدرة الإلهية، بل هو أقرب إلى التصور من تلك الفروض التي يتخيلها المنكرون![4] وكل المطلوب في جواب مشكلة الشر بالنسبة للمؤمنين هو كلية الجواب وقدرته على دفع دلالة الشبهة دون الالتزام بتقديم جواب تفصيلي لكل مسألة بعينها.

قبل الدخول في الجواب على الشبهة يحسن بنا استعراض جملة من المسائل تكون مدخل للجواب، وهي كما يلي:

المسألة الأولى: نسبة الشر إلى الله:

في القرآن يقول الله تعالى: {**الله خالق كل شيء**}[الزمر: ٦٢]، ويقول تعالى أيضا: {**من شر ما خلق**} [الفلق: ٢]، بينما في الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: "**والشر ليس إليك**"[5]، فكيف نجمع بينهما؟!

الجواب: إن الله قدر كل شيء يقع في هذا العالم، وتقديره كله خير بالنسبة له، لكنه بالنسبة لغيره فهو قد يكون شراً في بعض الأحيان، فلذلك لا ينسب الشر لله تعالى تأدباً معه سبحانه[6]. فالشر لا يضاف إلى الرب تعالى لا وصفاً ولا فعلاً ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه، وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم كقوله تعالى: {**من شر ما**

---

[1] انظر: الجواب عن مشكلة الشر، إعداد اللجنة العلمية في منتدى التوحيد، ص٥.

[2] مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة، عبد الحكيم الخليفي، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٩٩٧م، ص٢٢٤

[3] See: W. Monotgomery Watt, Suffering in Sunnite Islam, Studia Islamica, No. ٥٠ (١٩٧٩), pp. ٥-١٩.

[4] انظر: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص١١

[5] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رقم (٧٧١)

[6] انظر: مسألة الشر والسيئات وعلاقتها بالعدالة الإلهية في الخلق من خلال رسائل النور، بن شيه عبد الله، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة الخامسة، يناير ٢٠١٤م، العدد: ٩، ص٥١.

خلق} [الفلق: ٢] فما هاهنا موصولة أو مصدرية والمصدر بمعنى المفعول أي من شر الذي خلقه، أو من شر مخلوقه، وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمني الجن: **{وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً}** [الجن: ١٠] وقد يسند إلى محله القائم به كقول إبراهيم الخليل **{الذي خلقني فهو يهدين (٧٨) والذي هو يطعمني ويسقين (٧٩) وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠)}** [الشعراء: ٧٨-٨٠] وقول الخضر {أما السفينة فكانت لمساكين **يعملون في البحر فأردت أن أعيبها}** [سورة الكهف: ٧٩] وقال في بلوغ الغلامين **{فأراد ربك أن يبلغا أشدهما}** [سورة الكهف: ٨٢] وقد جمع الأنواع الثلاثة في الفاتحة في قوله: **{اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}** [الفاتحة: ٦-٧] والله تعالى إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر فقال تعالى: **{قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير}** [آل عمران: ٢٦][١] وكما قيل في الشر يقال في الإضلال، فالله خالق الهدى وخالق الضلال، ومن هذا يفهم على أنه خالق الخير لذات الخير، وخالق الشر من أجل الخير أي من أجل ما يقترن به من الخير. فيكون على هذا خلقه عدلاً منه.[٢] على كل حال.

المسألة الثانية: أنواع الشرور:

تعرض مشكلة الشر من خلال نوعين من الشرور: شرور تصدر عن الإنسان كالكفر والمعاصي من قتل وسرقة وغيرها مما يكون الفاعل فيه الإنسان، **ويمكن تسميته اصطلاحاً بالشر الخُلقي.** وهناك نوع آخر من الشرور مما لا دخل للإنسان فيه كالأمراض والأسقام والكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين مما يكون الشر فيه ناشئاً عن العوامل الطبيعية، **ويمكن تسميته بالشر الطبيعي.**[٣]

والشر الطبيعي بمفهومه الواسع يمكن تقسيمه إلى صورتين:

١- شر ناتج عن أقدار حياة الإنسان المكتوبة عليه ولا يد له فيها، مثل ولادته بإعاقة صحية مثلاً، أو لأسرة فقيرة أو إجرامية كان لها تأثير على حياته.

٢- شر ناتج عن الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والأعاصير والصواعق، والتي تصيب حتى الكائنات الحية الأخرى غير المكلفة.

---

[١] انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص٢٠٠.

[٢] انظر: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٩٧.

[٣] مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة، عبد الحكيم الخليفي، ص٢٢٦.

وهذه النقطة تحديداً (أي الشر الطبيعي) من أكبر النقاط التي استعصت على الفكر الغربي خصوصاً، وعلى الفكر الإنساني عموماً في ظل الابتعاد عن وحي الخالق عز وجل.[1]

المسألة الثالثة: حقيقة الشر:

وحقيقة الشر إما شر محض حقيقي من كل وجه، وإما شر نسبي إضافي من وجه دون وجه، فالأول لا يدخل في الوجود، والثاني هو الذي يدخل في الوجود.

والْمور التي يقال هي شرور:

١- إما أن تكون أموراً عدمية.

٢- أو أموراً وجودية.

فإن كانت عدمية فإنها؛

١- إما أن تكون عدماً لأمور ضرورية للشيء في وجوده.

٢- أو ضرورية له في دوام وجوده وبقائه.

٣- أو ضرورية له في كماله.

٤- وإما أن تكون غير ضرورية له في وجوده ولا بقائه ولا كماله وإن كان وجودها خيراً من عدمها.

فهذه أربعة أقسام؛ فالأول: كالإحساس والحركة والنفس للحيوان، **والثاني:** كقوة الاغتذاء والنمو للحيوان المغتذي النامي، **والثالث:** كصحته وسمعه وبصره وقوته، **والرابع:** كالعلم بدقائق المعلومات التي العلم بها خير من الجهل وليست ضرورية له.

وأما الأمور الوجودية فوجود كل ما يضاد الحياة والبقاء والكمال كالأمراض وأسبابها والآلام وأسبابها، **والموانع الوجودية** التي تمنع حصول الخير ووصوله إلى المحل القابل له المستعد لحصوله كالمواد الردية المانعة من وصول الغذاء إلى أعضاء البدن وانتفاعها به وكالعقائد الباطلة والإرادات الفاسدة المانعة لحصول أضدادها للقلب.[2]

وعليه فإن الشر لم يترتب إلا على عدم، وإلا فالموجود من حيث وجوده لا يكون شراً ولا سبباً للشر، فالأمور الوجودية ليست شروراً بالذات بل بالعرض من حيث إنها تتضمن عدم أمور ضرورية أو نافعة، فإنك لا تجد شيئاً من الأفعال التي هي شر إلا وهي كمال بالنسبة إلى أمور، وجهة الشر فيه بالنسبة إلى أمور أخر، **مثال ذلك:** أن

[1] انظر: مشكلة الشر بين الإسلام ومفكري الغرب، أحمد حسن، بحث غير منشور، ص٣٣.

[2] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص١٨١.

الظلم يصدر عن قوة تطلب الغلبة والقهر وهي القوة الغضبية التي كمالها بالغلبة، ولهذا خلقت فليس في ترتب أثرها عليها شر من حيث وجوده، بل الشر عدم ترتب أثرها عليها البتة فتكون ضعيفة عاجزة مقهورة، وإنما الشر الوجودي الحاصل شر إضافي بالنسبة إلى المظلوم بفوات نفسه أو ماله أو تصرفه، وبالنسبة إلى الظالم لا من حيث الغلبة والاستيلاء ولكن من حيث وضع الغلبة والقهر والاستيلاء في غير موضعه فعدل به من محله إلى غير محله، ولو استعمل قوة الغضب في قهر المؤذي الباغي من الحيوانات الناطقة والبهيمة لكان خيراً، ولكن عدل به إلى غير محله فوضع القهر والغلبة موضع العدل والنصفة، ووضع الغلظة موضع الرحمة، فلم يكن الشر في وجود هذه القوة ولا في ترتب أثرها عليها من حيث هما كذلك؛ بل في إجرائها في غير مجراها.[1] ونخلص من هذا أن الشر ليس شيئاً بذاته وإنما هو عدم وجود الخير.

المسألة الرابعة: بين يدي الجواب:

إن الإنسان لا يقول عن خط أنه معوج إلا إن كان له شيء من المعرفة بالخط المستقيم. فبم يقارن هذا العالم عندما يقول إنه عالم غير عادل؟[2] فلا يمكن لأحد أن يحتج بالشر حتى يقر بوجود الخير، ولا يمكن الإقرار بقيمتي الخير والشر حتى يقر بالمعيار الموضوعي، والمعيار الموضوعي لا يمكن أن يوجد دون وجود **مشرع أخلاقي غير مادي**، وهو الله جل جلاله.[3] إن التسليم بوجود الشر يلزم منه التسليم بوجود الخير الذي هو حجة على وجود الله.

المسألة الخامسة: الجواب عن الشبهة:

يمكن الجواب عن هذه الشبهة من عدة أوجه، وهي كما يلي:

الوجه الأول؛ الكمال في صفات الله:

إن حصر صفات الله بكونه عالماً قادراً رحيماً فقط لا يصح، وهذه النظرة الحصرية التي تتجاهل النظرة الكلية التي لا تهمل من صفات الرب شيئاً، والتي تتوصل بأفقها الواسع إلى إدراك التآلف الوجودي بين وجود الله الكامل ووجود الشر، فالله هو المالك المتصرف القاهر الحكيم الخبير فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون.[4]

---

[1] نظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص١٨٢.

[2] See: C. S. Lewis, Mere Christianity, Samizdat, ٢٠١٤, p.٢٥.

[3] انظر: مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، ص٦٣.

[4] انظر: المرجع السابق، ص٢٢، ٨٦.

إن وقوع الشر في العالم لا يناقض رحمة الله ولا يعارض اتصافه بصفات الخير نظراً لكون هذا الشر سبيلٌ إلى خير أكبر وأعظم عن طريق اللزوم العقلي والمنطقي. لكن هذا اللزوم العقلي والمنطقي معناه واسع للغاية؛ فارتكاب الذنب سبيلٌ إلى التوبة، والبلاء سبيلٌ إلى الصبر والصمود والتحمل، والقتل والشهادة في سبيل الله سبيلٌ إلى أعلى الدرجات في الجنة.[1] وهذه اللوازم لها متعلقات بآثار أسماء الله وصفاته، فالتوبة لها متعلق باسم التواب، والصبر له متعلق بصفة العطاء والجزاء، وهكذا.

ثم يقال لهؤلاء: هل من لوازم إرادة الشر على المفعولات أن يكون فاعله غير رحيم؟

والجواب: هذا منفك وليس بلازم والمثال الواضح الشهير عليه، إذا قطع طبيبٌ قدمك لإنقاذ حياتك من [غرغرينا] ستقتل كل جسدك هل يسمى هذا الفعل عدم رحمة لأن به بعضاً من الشر؟!

هذا لا يلزم، ولله المثل الأعلى حيث أن ما سمح به من شر على مفعولاته من جنس الخير المتمثل في معنى العدل، وحرية الإرادة، فلولا وجود الشر في المفعولات لم يكن هناك معنى للخير ولن نفهمه، وعليه يكون مفهوم الشر في هذه الدنيا خير لنا ورحمة لنا لأنه دون هذا المفهوم لن نعرف معنى للخير![2]

إن سوء التصور لمعنى الكمال الإلهي هو السبب المباشر لمشكلة وجود الشر، فالله كامل العلم وكامل الرحمة وكامل القدرة هو نفسه كامل الحكمة وكامل العدل وكامل الإرادة وكامل الخبرة وهكذا! فكمال الله لا يمكن أن يحيط به أحد. والذي يجب على العبد أن يعلم أن علم الله وقدرته وحكمته ورحمته في غاية الكمال الذي لا يتصور زيادة عليها بل كلما أمكن من الكمال الذي لا نقص فيه فهو واجب للرب تعالى، وقد يعلم بعض العباد بعض حكمته وقد يخفى عليهم منها ما يخفى. والناس يتفاضلون في العلم بحكمته ورحمته وعدله وكلما ازداد العبد علماً بحقائق الأمور ازداد علماً بحكمة الله وعدله ورحمته وقدرته وعلم أن الله منعم عليه بالحسنات عملها وثوابها وأن ما يصيبه من عقوبات ذنوبه فبعدل الله تعالى، وأن نفس صدور الذنوب منه –وإن كان من جملة مقدورات الرب– فهو لنقص نفسه وعجزها وجهلها الذي هو من لوازمها، وأن ما في نفسه من الحسنات فهو من فعل الله وإحسانه وجوده، وأن الرب مع أنه قد خلق النفس وسواها وألهمها فجورها وتقواها، فإلهام الفجور والتقوى وقع بحكمة بالغة. لكن

---

[1] انظر: الجواب عن مشكلة الشر، إعداد اللجنة العلمية في منتدى التوحيد، ص١٨.

[2] انظر: المرجع السابق، ص٣٣.

تفصيل حكمة الرب مما يعجز كثير من الناس عن معرفتها، فتكفيهم المعرفة المجملة والإيمان العام.[1]

يقول الله تعالى: {**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} [آل عمران: ٢٦]، فصدر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله وأنه هو سبحانه هو الذي يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء لا غيره، فالأول تفرده بالملك والثاني تفرده بالتصرف فيه وأنه سبحانه هو الذي يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز، ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه، وأن الخير كله بيديه ليس لأحد معه منه شيء، ثم ختمها بقوله: {**إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}، **فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده وأنها كلها خير**، فسلبه الملك عمن يشاء، وإذلاله من يشاء؛ خير وإن كان شراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة لا تخرج عن ذلك، وهذا كله خير يحمد عليه الرب ويثنى عليه به كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر وأنه ليس إليه، كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله: "**لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك أنابك وإليك تباركت وتعاليت**"[2] فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شراً، وهو سبحانه خالق الخير والشر فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً فعلم أن الشر ليس إليه وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك[3]. فسبحان الله المتصف بصفات الكمال والجمال المطلقين.

الوجه الثاني؛ قصور العقل البشري:

لا ينكر عاقل محدودية عقل وقدرات الإنسان على معرفة حقائق الأشياء وما يدور من حوله في العالم المنظور وغير المنظور، ومن هنا كانت الحاجة الفطرية دوماً لإرشاد

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـــ، ٨/٥١٣-٥١٤.

[2] رواه مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب، برقم (٧٧١).

[3] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص١٧٨-١٧٩.

إلهي تتقبله النفوس السوية بشغف وتصديق، ولاسيما عندما يأتيها الوحي الموثوق والمدعوم بأدلة رسالته من الخالق. وذلك مقارنة بما اصطنعته بعض النفوس من تأليه لأشياء أخرى لتسد بها هذا النقص الفطري في البشر.[1]

وبما أن العقل قد عرف أن من صفات الله الكامل أن يكون حكيماً، حكمة لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان.[2] فكل مسألة جزئية خفي علينا الحكمة منها، أرجعناها للأصل القطعي الذي نبني

عليه كل المسائل وهي أن الله متصف بكمال الحكمة وكمال العلم.

وقد بيّن القرآن هذه الحكمة بياناً شافياً حيث يقول الله تعالى: { **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**} [آل عمران: ١٩١]، ويقول تعالى: { **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**} [الأنبياء: ١٦]، ويقول تعالى: { **مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ**} [الدخان: ٣٩]، ويقول تعالى: { **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**} [ص: ٢٧]، ويقول تعالى: { **أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَـاكُم عَبَثاً وَأَنَّكُم إِلَينَا لا تُرجَعُون فَتَعَـالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَـاهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ**} [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، ويقول تعالى: { **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**} [الطلاق: ١٢]، ويقول تعالى: { **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [المائدة: ٩٧]، ويقول تعالى: { **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**} [النمل: ٨٨]، ويقول تعالى: { **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**} [السجدة: ٧]، ويقول تعالى: { **مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ**} [الملك: ٣] بل هو في غاية التناسب، واقع على أكمل الوجوه وأقربها إلى حصول الغايات المحمودة والحكم المطلوبة، فلم يكن تحصل تلك الحكم والغايات التي انفرد الله سبحانه بعلمها على التفصيل، وأطلع من شاء من عباده على أيسر اليسير منها إلا بهذه الأسباب والبدايات وقد سأله الملائكة المقربون عن جنس هذه الأسئلة وأصلها فقال: { **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**} [البقرة: ٣٠] وأقروا له بكمال العلم والحكمة، وأنه في جميع أفعاله على

[1] انظر: مشكلة الشر بين الإسلام ومفكري الغرب، أحمد حسن، ص٢٠.

[2] انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص٦٢.

صراط مستقيم، وقالوا: **{سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}** [البقرة: ٣٢]، ولما ظهر لهم ببعض حكمته فيما سألوا عنه وأنهم لم يكونوا يعلمون قال: **{ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}** [البقرة: ٣٣].[١] فتعالت حكمة الله التي أعجزت العقول البشرية القاصرة عن إدراكها والإحاطة بها.

الوجه الثالث؛ أقسام الوجود:

إن الوجود لا يمكن أن يكون إلا ثلاثة أقسام، وهي:

١- إما أن يكون خيراً من كل وجه.

٢- أو يكون شراً من كل وجه.

٣- أو يكون خيراً من وجه، وشراً من وجه.

والقسم الثالث يمكن تقسيمه إلى ثلاثة:

١- قسم خيره راجح على شره.

٢- وقسم شره راجح على خيره.

٣- وقسم مستو خيره وشره أو لا خير فيه ولا شر.

فهذه ستة أقسام ولا مزيد عليها، فبعضها واقع وبعضها غير واقع، **فأما القسم الأول** وهو الخير المحض من كل وجه والذي لا شر فيه بوجه ما، فهو أشرف الموجودات على الإطلاق وأكملها وأجلها، وكل كمال وخير فيها فهو مستفاد من خيره وكماله في نفسه، وهي تستمد منه وهو لا يستمد منها وهي فقيرة إليه وهو غني عنها. له كل كمال ومنه كل خير، له الحمد كله، وله الثناء كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، تبارك اسمه وتباركت أوصافه وتباركت أفعاله وتباركت ذاته فالبركة كلها له ومنه.

وأما الْقسام الخمسة الباقية فلا يدخل منها في الوجود إلا ما كانت المصلحة والحكمة والخير في إيجاده أكثر من المفسدة، فالشر المحض الذي لا خير فيه فذاك ليس له حقيقة بل هو العدم المحض. وأما الذي لا خير فيه ولا شر فلا يدخل أيضاً في الوجود فإنه عبث فتعالى الله عنه، وإذا امتنع وجود هذا القسم في الوجود فدخول ما الشر في إيجاده أغلب من الخير أولى بالامتناع، **ومن تأمل هذا الوجود علم أن الخير فيه غالب**

---

[١] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص١٨٥.

ولو لم يوجد هذا القسم الذي خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب وفوات الخير الغالب شر غالب.[1]

الوجه الرابع؛ الخير كثير والشر قليل:

إن المصائب والشرور نتائج جزئية من بين كثير من النتائج المترتبة على قوانينه العامة والكلية، قوانين سلطان ربوبيته التي تمثل الإرادات الكلية الجارية تحت اسم نواميس الله وعاداته، فتصبح تلك الأمور من المقتضيات الجزئية لجريان تلك القوانين. لذا فلأجل الحفاظ على تلك القوانين ورعايتها والتي هي مبعث المصالح الكلية ومدارها؛ يخلق سبحانه تلك النتائج الجزئية ذات الشرور.[2]

إن الخير الناتج عن الشر القليل أو الحاصل معه أكبر وأعظم، وإن في عدم وقوع هذا الشر القليل تفويت لكثير من الخير الذي لا يمكن تحصيله إلا بهذا السبيل، وأنه إن كان لا يمكن الفصل بين الخير والشر في هذه العملية إما لوجود علاقة سببية أو تلازمية بينهما، فلا إشكال في وقوع الشر لحكمة أكبر وهي تحصيل خير أكبر.[3] إذ لو ترك شر ينتج خيراً كثيراً للحيلولة دون حصول ذلك الشر القليل؛ لحصل عندئذ شر كثير.[4]

وعليه لم يكن بد بحسب ما تقتضيه الحكمة من أحد أمرين: إما ألا يخلق الأنواع التي توجد فيها الشرور في الأقل والخير في الأكثر، فيعدم الخير الأكثر بسبب الشر الأقل. ومعلوم أن وجود الخير الأكثر مع الشر الأقل أفضل من إعدام الخير الأكثر لمكان وجود الشر الأقل.[5]

بل إن العلم الطبيعي نفسه قائم على فهم الشرور المادية على أنها في الأعم الأغلب نشوز عن أصل عمل الكون، فالأمراض مثلا هي خروج عن أصل العافية، والزلازل والبراكين خروج عن أصل الاستقرار والنماء، وهكذا.[6] فما يحصل بالشمس والريح والمطر والثلج والحر والبرد من مصالح الخلق أضعاف أضعاف ما يحصل بذلك من مفاسد جزئية هي في جنب تلك المصالح كقطرة في بحر، هذا لو كان شرها حقيقياً،

---

[1] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص١٨٣ – ١٨٤.

[2] انظر: الشعاعات، بديع الزمان النورسي، ترجمة: إحسان الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ص ٣٨.

[3] انظر: الجواب عن مشكلة الشر، إعداد اللجنة العلمية في منتدى التوحيد، ص١٨.

[4] انظر: مسألة الشر والسيئات وعلاقتها بالعدالة الإلهية في الخلق من خلال رسائل النور، بن شيه عبد الله، ص٤٩.

[5] انظر: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص١٩٦.

[6] انظر: مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، ص٥٨.

فكيف وهي خير من وجه وشر من وجه، وإن لم يعلم جهة الخير فيها كثير من الناس فما قدرها الرب سبحانه سدى ولا خلقها باطلاً.[1]

الوجه الخامس؛ حرية الإرادة:

يختلف الإسلام بوضوح عن كل الديانات الوضعية، بل وحتى الأديان السماوية، في مسألة تفسير وجود الشر في العالم، وفي النظر إلى الشر من حيث طبيعتها ودورها وفي كيفية التعامل معها، فالشر موجود من أجل إمكان الحرية الإنسانية؛ لأنه يمتنع القول إن الإنسان حر، إذا كان مجبولاً على فعل الخير فقط. بل ولا يكتسب فعل الخير ميزته إلا إذا كان فعل الشر ممكن الحدوث.[2] وعليه فإن الجمع بين وجود إرادة حرة تفعل ضمن حريتها، وعجز هذه الإرادة عن أن تفعل الشر؛ ممتنع عقلاً. لأن منع هذا الشر يعني إلغاء حرية الإنسان، وتحوله إلى كائن موجه غير مريد، وهو ما يؤول إلى منع تسمية فعله الميكانيكي الصواب: خيراً؛ لأنه ليس فعلاً اختيارياً.[3]

والحكمة التي أقيم عليها نظام هذا العالم اقتضت أن يكون نظام عقول البشر قابلاً للتطوح بهم في مسلك الضلالة، أو في مسلك الهدى على مبلغ استقامة التفكير والنظر، والسلامة من حجب الضلالة، وأن الله تعالى لما خلق العقول صالحة لذلك جعل منها قبول الحق بحسب الفطرة التي هي سلامة العقول من عوارض الجهالة والضلال، وهي الفطرة الكاملة المشار إليها بقوله تعالى: كان الناس أمة واحدة، فلا شك أن حكمة الله اقتضت هذا النظام في العقل الإنساني لأن ذلك أوفى بإقامة مراد الله تعالى من مساعي البشر في هذه الحياة الدنيا الزائلة المخلوطة، لينتقلوا منها إلى عالم الحياة الأبدية الخالصة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ليتفاوت الناس في مدارج الارتقاء، فتتميز أفراد هذا النوع في كل أنحاء الحياة حتى يعد الواحد بألف ليميز الله الخبيث من الطيب.[4]

فإن قيل: **لماذا لا يخلق الله خلقاً بحرية إرادة واختيار ولكن لا يجعلهم يختارون إلا الخير فقط؟ والإجابة:** إن خلق البشر بحرية إرادة واختيار ومع ذلك لا يجعلهم الله يختارون إلا الخير فقط: هو أمر محال في حد ذاته، والمحال لذاته، لا حقيقة له، ولا

---

[1] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص١٨٣ – ١٨٤.

[2] انظر: مسألة الشر والسيئات وعلاقتها بالعدالة الإلهية في الخلق من خلال رسائل النور، بن شيه عبد الله، ص٤٩.

[3] انظر مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، ص١٢٠.

[4] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ١٢/١٨٧-١٨٨.

يُتصور وجوده، ولا يُسمى شيئاً باتفاق العقلاء[1] **لذلك** لا تتعلق به القدرة، مع أن الله على كل شيء قدير، فلا يخرج ممكن عن قدرته البتة.[2]

الوجه السادس؛ عالم بلا شر:

قد يعترض أحدهم أن الله قادرٌ على إيصال هذا الخير دون وقوع الشر، لكن هذا في الحقيقة غير مقبول من الناحية المنطقية، فلا يتصور عقلاً كيفية وجود صفات الصبر والصمود وتحدي الصعاب –وهي من معاني الخير– دون وقوع البلاء، وكذلك لا يتصور حدوث التوبة دون ذنب، ولا نيل الدرجات العلى دون استحقاقها بالشهادة في سبيل الله، وغيرها من الأمثلة. إن المطالبة بعالم لا يوجد فيه شر مطلقاً، هو مطالبة بعالم متماسك بشكل عضوي، لا تتخلله أي ثغرات، ولا يعرف الانقطاع ولا الثنائيات، خاضع لقوانين واحدة كامنة فيه لا تفرق بين الإنسان وغيره من الكائنات، فهو عالم يتسم بالوحدوية المادية الصارمة، وهذا يعني باختصار عالماً خاليا من المعنى، لا يوجد فيه لا خير ولا شر ولا صحيح ولا خطأ، وهذا مضاد للحكمة البشرية فكيف بالحكمة الإلهية؟![3] التي لا تفعل شيئاً إلا لغاية محمودة، ومعنى شريف مقصود. ثم يقال إن قدرته سبحانه وتعالى على خلق عالم بلا شر، ثم تقديره لخلافه، لا ينفي حكمته البالغة من وجود هذا العالم، فإن الله تعالى يقدر على مقدورات لا يفعلها لحكمة. يقول الله تعالى: ﴿قل هوَ القَادر عَلَى أَن يَبعَثَ عَلَيكم عَذاب من فَوقكم أَو من تَحت أَرجلكم﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ولَو شَاءَ رَبكَ لجَعَلَ الناسَ أمة وَاحدَة﴾ [هود: ١١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزلنَا منَ السمَاء مَاء بقَدَر فأَسكَنَاه في الْأَرض وَإِنا عَلَى ذَهَاب به لَقَادرون﴾ [المؤمنون: ١٨]. فهذه مقدورات له سبحانه وإنما امتنعت لكمال حكمته، فهي التي اقتضت عدم وقوعها. فلا يلزم من كون الشيء في قدرة الله تعالى أن يكون حسناً موافقاً للحكمة، بل تكون الحكمة هي عدم إمضاء الله تعالى له.[4]

بل يقال إن وجود الشر في العالم هو نقص يعبر عن قصور هذا العالم، وهذا القصور دليل على حاجته إلى واجب الوجود الذي يرجح وجوده على عدمه وهو الله سبحانه، فالشر بذلك دليل من الأدلة على وجود الله. فوجود الشر تابع لوجود كون غير متصف

---

[1] انظر: منهاج السُنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ٢/٢٩٣.

[2] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص٢١٣.

[3] انظر: الجواب عن مشكلة الشر، إعداد اللجنة العلمية في منتدى التوحيد، ص١٩، ٣٥.

[4] انظر: المرجع السابق، ص١٤٦.

بالكمال، وليس هو أصل لذاته، ومحدوديته في منعه الشيء من بلوغ مرتبة الكمال والصلاح.[١]

الوجه السابع؛ تفسير الشر:

إن جميع الشر الموجود في هذا العالم يمكن تفسيره، سواء علمنا هذا التفسير أو لم نعلمه، ولا يوجد مانع عقلي من هذا الحكم! وعليه؛ إذا استقر لدى المؤمن الإيمان بأن لوجود الشر في هذا العالم حكمة إلهية سواء علمناها أو لم نعلمها، فحينئذ يسهل الجمع بين حقيقة وجود الله كامل الخيرية وحقيقة وجود الشر في العالم المخلوق، ولا يصبح لدينا أي تعارض إطلاقاً، ومن المعلوم أن الله تعالى لم يخلق من خلقه شيئاً، إلا وقد أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ما عرفنا منها وما لم نعرف، فهذا الخير إذا قدر أن أزال الرب عن بعضهم بعضه لحكمة يعلمها ولغاية يريدها سبحانه، لم يكن ذلك ظلماً لهم، سواء علموا تلك الحكمة أم لم يعلموها، فإن انتقاص الفضل لا يؤول إلى الظلم، لأنه فضل بالأساس.[٢]

إن الشر الذي نراه إنما هو في مقدورات الله ومفعولاته، فهي بالنسبة للإنسان شراً لأنها لا تلائمه، لكن باعتبار نسبتها إلى الله فهي خير؛ لأن الله لم يقدرها إلا لحكمة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها. حيث لا يوجد في خلق الله شر محض من جميع الوجوه.[٣] فوجود الشرور يعود بعضها لمنافع مقصودة، منها؛ الامتحان والبلوى وما يعقبهما من تعويض يناله الإنسان في الآخرة إذا صبر عليها، ومنها؛ العظة والاعتبار، ومنها؛ الانتقام من الظالمين والمتجبرين، ومنها؛ بيان جمال الضد والوقوف على فضائله ومزاياه.[٤] والخلاصة هي أن الشر كله عدم وسببه جهل وهو عدم العلم أو ظلم وهو عدم العدل وما يترتب على ذلك من الآلام فهو من عدم استعداد المحل وقبوله لأسباب الخيرات واللذات.[٥] والحكم المترتبة على وجوده كثيرة منها ما هو ظاهر مقصود، وأكثرها خفي موجود.

---

[١] انظر: مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، ص٦٧، ٩٩.

[٢] انظر: الجواب عن مشكلة الشر، إعداد اللجنة العلمية في منتدى التوحيد، ص٢١، ١١٩.

[٣] انظر: مسألة الشر والسيئات وعلاقتها بالعدالة الإلهية في الخلق من خلال رسائل النور، بن شيه عبد الله، ص٥١، ٥٣.

[٤] انظر: معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة، محمد أبو هلال، مدارات فلسفية، ص٢١.

[٥] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص١٨١.

الوجه الثامن؛ الصورة الكلية:

إن العقل الصحيح يقضي بأن نحمل المتشابهات على المحكمات، وأن نستنبط أحكام الجزئيات المجهولة من الكليات المتقررة المعلومة، وأن نقيس ما جهلنا على ما علمنا، وأن نقطع الشبهات الفرعية بالرجوع إلى الكليات اليقينية، وهذا في جميع أبواب العلم، فعندما نرى صورة من صور الألم الشديد أو العذاب يتعرض لها مخلوق من المخلوقات، ولم يتحقق لنا في مفردات الأمر ما به نعلم الحكمة الدقيقة من نزول ذلك الشر بذاك المخلوق، فليس لنا أن ننتقل عن الأصل الراسخ المتقرر عندنا بضرورة العقل وبقواطع الشرع، إلى ما ينافيه وينقضه! بل مهما كثرت صور الشرور التي نجهل تأويلها بعينها، لم يجز لنا أن نتخذ من ذلك ذريعة لنقض الأصل الكلي القطعي في المسألة! فإن تلك الشبهات كلها مدارها الجهالة، أي أن كل واحدة منها غايتها أن يقال فيها: لا ندري ولا نتصور لماذا أنزل الله هذا الشر بعينه بهذا المخلوق بعينه، وليس في شيء منها شبهة دليل على وقوع الظلم أصلا![1] فإذا كان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وقد رأينا أننا لا ندري ما موضع ذلك الشر وما حكمته، لم نملك أن نحكم على شيء من ذلك بأنه ظلم. ولكننا نعلم بالقطع أن الله لا يظلم قيد أنملة أصلا، وما من شيء يفعله إلا لحكمة تامة سبحانه وتعالى، فإذا ما رجعنا إلى ذلك الأصل المحكم، تحقق المطلوب وزال هذا الإشكال.[2]

إننا كثيراً ما نرى الظالم الفاجر الغدار في غاية التنعم، والمظلوم المتدين في غاية الذلة والضرر، ثم يجيء الموت فيساوي بينهما، وهذه المساواة بلا نهاية ترى ظلماً. والعدالة والحكمة الإلهيتان اللتان شهدت عليهما الكائنات منزهتان عن الظلم، فلا بد من مجمع آخر ليرى الأول جزاءه، والثاني ثوابه، فتتجلى العدالة الإلهية.[3] ولو لم يكن معاد يجد المحسن ثمرة إحسانه، ويجد المسيء عاقبة اساءته، لم يكن ذلك لائقا بحكمته، وهذا هو المراد من قوله تعالى: **{ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى}** [النجم: ٣١][4] والذين ينكرون العناية الإلهية قد وقفوا عند حوادث فردية تبدو للناظر أنها تتجه إلى الشر، ولذا لا ينبغي الوقوف عند مجرد الحوادث الفردية، بل الارتفاع من ذلك إلى رؤية الصورة الكلية، فالعالم بجملته يغلب عليه الخير.

---

[1] انظر: الجواب عن مشكلة الشر، إعداد اللجنة العلمية في منتدى التوحيد، ص١١٧.

[2] انظر: المرجع السابق، ص١١٨.

[3] انظر: مسألة الشر والسيئات وعلاقتها بالعدالة الإلهية في الخلق من خلال رسائل النور، بن شيه عبد الله، ص٥٥-٥٦.

[4] انظر: عجائب القرآن، فخر الدين الرازي، تحقيق: السيد الجميلي، دار البحار، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص٣١.

الوجه التاسع؛ المتقابلات:

إن الشر جزء متمم للخير أو شرط لازم لتحقيقه؛ فلا معنى للشجاعة بغير الخطر، ولا معنى للكرم بغير حاجة، ولا معنى للصبر بغير الشدة، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيصة تقابلها وترجح عليها، وقد يطرد هذا القول في لذاتنا المحسوسة؛ يطرد في فضائلنا النفسية، ومطالبنا العقلية؛ إذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع، ولا نستمتع بالري ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح.[١]

إن تقابل الخير والشر في هذا الكون، واللذة والألم، والنور والظلام، والحرارة والبرودة، والجمال والقبح، والهداية والضلالة، وتداخل بعضها ببعض إنما هي لحكمة كبرى، لأنه ما لم يكن هناك الشر فلا يفهم الخير، وما لم يكن هناك الألم فلا تعرف اللذة، فكل شيء يعرف من جهة ضده.[٢] ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة وتقطعت أسباب الفكرة، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز، ولم يكن للعالم تثبت وتوقف وتعلم، ولم يكن علم، ولا يعرف باب التبين، ولا دفع مضرة، ولا اجتلاب منفعة، ولا صبر على مكروه ولا شكر على محبوب، ولا تفاضل في بيان، ولا تنافس في درجة، وبطلت فرحة الظفر وعز الغلبة، ولم يكن على ظهرها محق يجد عز الحق، ومبطل يجد ذلة الباطل، وموقن يجد برد اليقين، وشاك يجد نقص الحيرة وكرب الوجوم؛ ولم تكن للنفوس آمال ولم تتشعبها الأطماع. ومن لم يعرف كيف الطمع لم يعرف اليأس، ومن جهل اليأس جهل الأمن. ولو استوت الأمور بطل التمييز، وإذا لم تكن كلفة لم تكن مثوبة، ولو كان ذلك لبطلت ثمرة التوكل على الله تعالى، واليقين بأنه الوزر والحافظ، والكالئ والدافع، وأن الذي يحاسبك أجود الأجودين، وأرحم الراحمين، وأنه الذي يقبل اليسير ويهب الكثير، ولا يهلك عليه إلا هالك. ولو كان الأمر على ما يشتهيه الغرير والجاهل بعواقب الأمور، لبطل النظر وما يشحذ عليه، وما يدعو إليه، ولتعطلت الأرواح من معانيها، والعقول من ثمارها، ولعدمت الأشياء حظوظها وحقوقها.[٣]

---

[١] انظر: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس العقاد، ص٩ – ١٠.

[٢] انظر: الشعاعات، بديع الزمان النورسي، ص٢٩٠.

[٣] انظر: الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ١/١٣٤، ١٣٥.

الوجه العاشر؛ النعيم لا يدرك بالنعيم:

إن غاية الخلق هي تعبيد الإنسان لرب العالمين، قال تعالى: {**وما خلقت الجن والإنس إلَا ليعبدون**} [سورة الذاريات: ٥٦] فهذه غاية الخلق ومراد الشرع، فليس المراد أن يخلق عالماً لا شر فيه يتنعم فيه الإنسان ابتداء دون اختبار ولا ابتلاء. فالتعبيد والابتلاء من مقاصد الخلق. قال تعالى: {**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين (١٥٥) الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (١٥٦) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (١٥٧)**} [سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧]، فالصبر مطلب شرعي ومقصد إلهي، والحكم المترتبة على ذلك لا يمكن حصرها. وقد ثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم! أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها - إلا أجره الله في مصيبته. وأخلف له خيراً منها.**"[١] ويقول عليه الصلاة والسلام: "**يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض**".[٢] ويقول صلى الله عليه وسلم: "**يؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**".[٣] وبسبب هذه النتائج الجزئية الأليمة يستغيث الأفراد الذين ابتلوا بالمصائب والذين نزلت بهم البلايا بالله، فيمدهم بإمداداته الخاصة الرحمانية ويحسن إليهم بإحساناته الخصوصية الربانية. فيظهر بهذا أنه الفاعل المختار وأن كل شأن في كل شيء وثيق الصلة بمشيئته تعالى، وأنه بهذه الإحسانات فتح ميداناً لتجليات الأسماء الحسنى والصفات.[٤]

وينبغي أن نعلم أن العدل بمعناه الإنساني لا يتطابق مع العدل في فعل الله سبحانه، وذلك لأسباب عديدة، منها: أن العدل في الحس الإنساني مرتبط بالنفع والضر، والله سبحانه في فعله في الكون لا ينفعه من فعل البشر شيء، ولا يضره شيء. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً. فلا تظالموا. يا عبادي! كلكم ضال**

---

[١] رواه مسلم في صحيحه برقم (٩١٨)

[٢] رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٤٠٢)

[٣] رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٠٧)

[٤] انظر: الشعاعات، بديع الزمان النورسي، ص٣٨.

إلا من هديته. فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته. فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته. فاستكسوني أكسكم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً. فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني. ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم. كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم. ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم. وإنسكم وجنكم. كانوا على أفجر قلب رجل واحد. ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم. وإنسكم وجنكم. قاموا في صعيد واحد فسألوني. فأعطيت كل إنسان مسألته. ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي! إنَّما هي أعمالكم أحصيها لكم. ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيراً فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فل يلومن إلا نفسه ".
وفي رواية: "**إني حرمت على نفسي الظلم وعلى عبادي. فلا تظالموا**".[1] لذلك ففهمنا للعدل الإلهي لا بد أن يتصف بالكثير من التواضع، فالعدل الإلهي هو الأكمل وكماله يقتضي أن له أبعاد ليست ضمن أبعاد العدل بمعناه البشري.[2]

إن سنة الله سبحانه في خلقه وأمره أن يقدم الخير الراجح وإن كان في ضمنه شر مرجوح، ويعطل الشر الراجح وإن فات بتعطيله خير مرجوح، وهو سبحانه قد أحسن كل شيء خلقه وقد أتقن كل ما صنع، وهذا أمر يعلمه العالمون بالله جملة ويتفاوتون في العلم بتفاصيله، وإذا عرف ذلك؛ فالآلام والمشاق إما إحسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما إصلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها، وإما لدفع ألم هو أصعب منها، وإما لتولدها عن لذات ونعم يولدها عنها أمر لازم لتلك اللذات، وإما أن يكون من لوازم العدل أو لوازم الفضل والإحسان فيكون من لوازم الخير التي إن عطلت ملزوماتها فات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام، وإذا كانت الآلام أسباباً للذات أعظم منها وأدوم منها كان العقل يقضي باحتمالها، وقد حجب الله سبحانه أعظم اللذات بأنواع المكاره وجعلها جسراً موصلا إليها كما حجب أعظم الآلام بالشهوات واللذات وجعلها جسرا موصلاً إليها ولهذا قالت العقلاء قاطبة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن الراحة لا تنال بالراحة وأن من آثر اللذات فاتته اللذات فهذه الآلام والأمراض والمشاق من أعظم النعم إذ هي أسباب النعم.[3]

---

[1] رواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٧٧)
[2] انظر مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، ص٧٧ – ٧٨.
[3] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص٢٥٠.

الوجه الحادي العاشر؛ قصة موسى والخضر:

إن في قصة موسى والخضر بيان جميل لقضية الحكمة والتعليل، يقول الله تعالى: **{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)}** [سورة الكهف: ٦٥-٨٢] فهذه الآيات تقول بوضوح أن الشيء الذي لا نستطيع أن ندركه، وجهلنا حكمته؛ يجب أن نستسلم فيه لله عز وجل، وأن نؤمن بيقين أنه عدله وعلمه وحكمته بلغت حد الكمال الذي لا نقص فيه.

وعلى المؤمن في تعامله مع مثل هذه المسائل أن يركن إلى خمسة أصول:

الأصل الأول: إثبات عموم علمه سبحانه وإحاطته بكل معلوم وأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض بل قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً.

الأصل الثاني: أنه سبحانه حي حقيقة وحياته أكمل الحياة وأتمها وهي حياة تستلزم جميع صفات الكمال ونفي أضدادها من جميع الوجوه ومن لوازم الحياة الفعل الاختياري فإن كل حي فعال وصدور الفعل عن الحي بحسب كمال حياته ونقصها وكل

من كانت حياته أكمل من غيره كان فعله أقوى وأكمل وكذلك قدرته ولذلك كان الرب سبحانه على كل شيء قدير وهو فعال لما يريد.

الأصل الثالث: إثبات الفعل الاختياري، والفعل الذي لا يعقل الناس سواه هو الفعل الاختياري الإرادي الحاصل بقدرة الفاعل وإرادته ومشيئته، وكون الرب سبحانه حياً فاعلاً مختاراً مريداً مما اتفقت عليه الرسل والكتب ودل عليه العقل والفطرة وشهدت به الموجودات ناطقها وصامتها جمادها وحيوانها علويها وسفليها فمن أنكر فعل الرب الواقع بمشيئته واختياره وفعله فقد جحد ربه وفاطره وأنكر أن يكون للعامل رب.

الأصل الرابع: أنه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدراً، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه، فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات وقدح في العقول والفطر ومكابرة للحس وجحد للشرع والجزاء. فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحل والحرمة، كل ذلك مرتبطاً بالأسباب قائماً بها، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات، والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات والقدر جار عليها متصرف فيها، فالأسباب محل الشرع والقدر، والقرآن مملوء من إثبات الأسباب، وهذا أكثر من أن يستوعب.

الأصل الخامس: أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمه هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة[1] لأجلها فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها.[2]

فإذا ركن المؤمن لهذه الأصول الخمسة، فقد آوى إلى ركن شديد يحميه من مشكلات الحوادث، ومن نوازل الأمور، ويكون مطمئن البال مرتاح الجنان.

المسألة السادسة: الحكمة من خلق إبليس:

قولهم: أي حكمة في خلق إبليس وجنوده؟

والجواب: إن في ذلك من الحكم مالا يحيط بتفصيله إلا الله، **فمنها:** أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه ومخالفته ومراغمته في الله وإغاظته

[1] وقد ذكر ابن القيم أكثر اثنين وعشرين نوعاً في بيان حكمة الله في خلقه وأمره، راجعها في كتابه: شفاء العليل، ص١٩٠–٢٠٤.

[2] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص١٨٦–١٩٠.

وإغاظة أوليائه والاستعاذة به منه والإلجاء إليه أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه –وقدمنا أن الموقوف على الشيء لا يحصل بدونه–.

ومنها: خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى وخضوع آخر وخوف آخر، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك إذا رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد.

ومنها: أنه سبحانه جعله عبرة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته، كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه أو عصى أمره ثم تاب وندم ورجع إلى ربه فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب وجعل هذا الأب عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه وهذا الأب عبرة لمن تاب ورجع إلى ربه فلله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة.

ومنها: أنه محك امتحن الله به خلقه ليتبين به خبيثهم من طيبهم، فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها السهل والحزن والطيب والخبيث، فلا بد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعاً: إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على مثل ذلك منهم الطيب والخبيث والسهل والحزن وغير ذلك. فما كان في المادة الأصلية فهو كائن في المخلوق منها، فاقتضت الحكمة الإلهية إخراجه وظهوره، فلا بد إذا من سبب يظهر ذلك، وكان إبليس محكاً يميز به الطيب من الخبيث كما جعل أنبيائه ورسله محكاً لذلك التمييز، قال تعالى: **{ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتَّى يميز الخبيث من الطيب}** فأرسله إلى المكلفين وفيهم الطيب والخبيث فانضاف الطيب إلى الطيب، والخبيث إلى الخبيث، واقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حدة، ولهؤلاء داراً على حدة؛ حكمة بالغة، وقدرة قاهرة.

ومنها: أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة، وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه، فإنه خالق الأضداد كالسماء والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحر والبرد، والطيب والخبيث.

ومنها: أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده، فإن الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى، كما تقدم بيانه قريباً.

ومنها: أنه سبحانه يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه، ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده وامتحانهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه، فكم بين شكر آدم وهو في الجنة –قبل أن يخرج منها– وبين شكره بعد أن ابتلي بعدوه، ثم اجتباه ربه وتاب عليه وقبله.

ومنها: أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضاء ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه، وهذه العبودية إنما تتحقق بالجهاد، وبذل النفس لله، وتقديم محبته على كل ما سواه، فالجهاد ذروة سنام العبودية، وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصي حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح إلا الله.

ومنها: أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه... وأضعاف أضعاف ذلك من آياته وبراهين قدرته وعلمه وحكمته فلم يكن بد من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك، كما تقدم.

ومنها: أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد، وفيها الإشراق والإضاءة والنور، فأخرج منها سبحانه هذا وهذا، كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة قاهرة وآية دالة على أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.[1]

المسألة السابعة: التناسب بين العقوبة والذنب:

وإن قيل: إن العقوبات الأخروية تناقض العدل الإلهي بسبب عدم تناسبها مع طبيعة الجرم، فكيف يفرض عقوبات شديدة لمدة طويلة على جنايات معدودة في مدة محدودة؟

فالجواب: إن الكفر في زمان متناه جناية غير متناهية من عدة جهات:

الأولى: أن من مات على الكفر لو بقي أبداً لكان كافراً؛ لفساد جوهر روحه، فهذا القلب الفاسد استعد لجناية غير متناهية. يقول الله تعالى: **{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا**

[1] انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ص٢٣٠ وما بعدها.

يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: ٢٧، ٢٨]

الثانية: أن الكفر وإن كان في زمان متناه لكنه جناية على عموم الكائنات التي تشهد على الواحدانية.

الثالثة: أن الكفر كفران لنعم غير متناهية.

الرابعة: أن الكفر جناية في حق الله غير المتناهي.

الخامسة: كما أن الإيمان لعظمته يثمر نعيماً أبدياً، فكذا الكفر لعظم جنايته يثمر عذاباً أبدياً.[١]

وعليه فإن كل ما يحكم به الله فهو عين العدالة.

المسألة الثامنة: الحكمة من وجود الشر عند ابن سينا:

يقرر ابن سينا أن الشر قليل والخير كثير، وأنه ليس من الحكمة أن تترك الخيرات الفائقة الدائمة والأكثرية لأجل شرور في أمور شخصية غير دائمة، فالنظام الأكمل للكون يقتضي وجود هذه الشرور، وهذه الحكمة منوطة بمعرفة الأسباب والمسببات في العالم، فإذا كنا لا نحيط علماً بجميع الأسباب، فكيف نطمع في معرفة ما فيه من حكمة إلهية، فالعالم خاضع لأسباب، وبذكر هذه الأسباب يظهر إثبات الحكمة الإلهية في وجود هذه الموجودات، وأنها إنما وجدت على أكمل ما يمكن أن يكون، ولولا تلك الحكمة لما وجدت هذه الشرور.[٢] لو كان هذا العالم لا يجري فيه إلا الصلاح المحض، لم يكن هذا العالم عالماً، بل كان عالماً آخر. وما يحدث من شرور هو نظام له.[٣] وهذا ما يقرره الفارابي من أن وجود الشر في الجزئيات هو نتيجة لازمة لكونها جزئية متناهية، فوجوده فيها هو الذي يبرز ما في النظام الكلي من خير. فكل ما في الطبيعة من شرور، هي شرور ضرورية ولازمة لأجل وجود الخير، وكذلك هي شرور لازمة لارتباط العلة بالمعلول، فالخلق لا يخضع للمصادفة بل هو لغاية وهذه الغاية كلها حكمة وخير.[٤] إن الفكرة الأساسية التي يقوم عليه رأي ابن سينا في مسألة الشر هي أن الشر

---

[١] انظر: مسألة الشر والسيئات وعلاقتها بالعدالة الإلهية في الخلق من خلال رسائل النور، بن شيه عبد الله، ص٥٧، وانظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٠.

٢ انظر: مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية، دراسة مقارنة في فكر ابن سينا، د. منى أبو زيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص١١٤، ١١٥.

[٣] انظر: مجموع رسائل الشيخ الرئيس، ابن سينا، جمعية دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٥٤هـ، ص٢٠.

[٤] انظر: مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية، د. منى أبو زيد، ص١١٥، ١٥٩.

لازم لأنه جزء من نظام العالم مخطط له منذ البداية، ولكنه رغم ضرورته إلا أنه شر قليل.[1]

المسألة التاسعة: الحكمة من وجود الشر عند الغزالي:

طرح الغزالي سؤالاً وأجاب عليه، حيث يقول: لعلك تقول ما معنى كونه تعالى رحيماً لا يرى مبتلى ومضروراً ومعذباً ومريضاً وهو يقدر على إماطة ما بهم إلا ويبادر إلى إماطته والرب سبحانه وتعالى قادر على كفاية كل بلية ودفع كل فقر وغمة وإماطة كل مرض وإزالة كل ضرر والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا وهو قادر على إزالة جميعها وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن؟

فجوابك: إن الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهراً، والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأن الأم له عدو في صورة صديق، **فإن الألم القليل إذا كان سبباً للذة الكثيرة لم يكن شراً بل كان خيراً**، والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، **وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه وحصل ببطلانه شراً أعظم من الشر الذي يتضمنه،** فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر وفي ضمنه الخير الجزيل وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن ولكان الشر أعظم، وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير، ولكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع السلامة التي هي خير محض ثم لما كان السبيل إليه قطع اليد قصد قطع اليد لأجله، فكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولاً، والقطع مطلوباً لغيره ثانياً لا لذاته، فهما داخلان تحت الإرادة ولكن أحدهما مراد لذاته والآخر مراد لغيره، والمراد لذاته قبل المراد لغيره، ولأجله قال الله عز وجل: "**سبقت رحمتي غضبي**"[2] فغضبه إرادته للشر والشر بإرادته، و رحمته إرادته للخير والخير بإرادته، ولكن إذا أراد الخير للخير نفسه، وأراد الشر لا لذاته ولكن لما في ضمنه من الخير، **فالخير مقضي بِلذات والشر مقضي بالعرض وكل بقدر، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلاً**. فالآن **إن خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيراً، أو خطر لك أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكناً لا في ضمن الشر فاتهم عقلك القاصر في أحد الخاطرين**. أما في قولك إن هذا الشر لا خير تحته فإن هذا مما تقصر العقول

[1] انظر: معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة، محمد أبو هلال، ص٢٨

[2] رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رقم (٧٥٥٣).

عن معرفته، ولعلك فيه مثل الصبي الذي يرى الحجامة شراً محضاً، أو مثل الغبي الذي يرى القتل قصاصاً شراً محضاً؛ لأنه ينظر إلى خصوص شخص المقتول لأنه في حقه شر محض، ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافة ولا يدري أن التوصل بالشر الخاص إلى الخير العام خير محض، لا ينبغي للغير أن يهمله، أو اتهم عقلك في الخاطر الثاني وهو قولك إن تحصيل ذلك لا في ضمن ذلك الشر ممكن ،فإن هذا أيضاً دقيق غامض فليس كل محال وممكن مما يدرك إمكَانه واستحالته بالبديهة ولا بالنظر القريب، بل ربما عرف ذلك بنظر غامض دقيق يقصر عنه الأكثرون، فاتهم عقلك في هذين الطرفين، ولا تشكن أصلاً في أنه أرحم الراحمين وفي أنه سبقت رحمته غضبه ولا تستريبن في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق لاسم الرحمة، وتحت هذا الغطاء سر منع الشرع عن إفشائه فاقنع بالإيماء، ولا تطمع في الإفشاء ولقد نبهت بالرمز والإيماء إن كنت من أهله فتأمل.[1]

المسألة العاشرة: الحكمة من وجود الشر عند المعتزلة:

يقرر المعتزلة أن الشرور الصادرة عن أفعال الإنسان تحدث بقدرته فهو الموجد لأفعاله؛ لأن الله عند المعتزلة عادل وليس بظلام للعبيد، فلا يجازي الإنسان إلا على ما كان يستطيع أن يفعله من خير أو شر، مما يعني أن أفعال الإنسان حسب منطلقهم هي من خلق الإنسان نفسه، إذ لو كانت من خلق الله تعالى لبطل التكليف، وكذلك لأنهم وجدوا أن من بين أفعال الإنسان ما هو شر وقبيح كالكفر والقتل والظلم وغيرها، فلو كانت هذه مخلوقة لله تعالى لكان الله سبحانه فاعلاً لهذه الشرور والآثام وهو ما يتنافى مع ما ثبت لله تعالى من كونه منزهاً عن فعل ما هو قبيح أو شر.[2]

أما الشرور الناشئة عن الطبيعة فهي عند المعتزلة شر مجازي وليست بشر حقيقي،[3] لأن الشر عندهم هو العبث والفساد، والله منزه عن العبث والفساد، وبما أن هذه الشرور

---

[1] انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الغزالي، تحقيق: بسام الجابي، الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص٦٤-٦٦.

[2] مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة، عبد الحكيم الخليفي، ص٢٢٧، وانظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، ص١٧٩.

[3] تقسيم الشرور إلى حقيقي ومجازي هو تقسيم مأخوذ من النصارى، حيث يقول يوحنا ذهبي الفم: يوجد شر هو في الحقيقة شر: الزنا، الدعارة، الطمع، وأشياء أخرى مخفية بلا عدد تستحق التوبيخ الشديد والعقوبة، كما يوجد شر أيضاً شر هو في الحقيقة ليس شراً، إنما يدعى كذلك مثل: المجاعة، الكارثة، الموت، المرض وما أشبه ذلك؛ فإن هذه ليست شروراً وإنما تدعى هكذا لماذا؟، لأنها لو كانت شروراً لَمَا كانت تصبح مصدرا لخيرنا، إذ تؤدب كبرياءنا وتكاسلنا، وتقودنا إلى الغيرة، وتجعلنا أكثر يقظة" ويقول نفس المعنى الأب ثيودور. (انظر: سفر إشعياء، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مارجرجس باسبورتنج، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص ٣٥٩)، وقد تبعه توما الأكويني فقسم الشر إلى شر في نظام الطبيعة، وشر في نظام الأخلاق، بينما لايبنتز قسم الشر إلى ثلاثة أقسام: شر ميتافيزيقي ويقصد به نقصاً في كمال الوجود، وشر طبيعي ويقصد به الألم الحسي، وشر أخلاقي ويقصد به الخطيئة. (انظر: معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة، محمد أبو هلال، ص١٣)

الطبيعية من فعله سبحانه، كان من اللازم أن تكون خالية من العبث والفساد، وبالتالي فهي ليست بشر حقيقي، وإن كان ظاهرها يبدو وكأنه شر.[1] وإن كانت هذه الشرور الطبيعية سبباً لآلام على المكلف وغير المكلف، فهي تسمى شراً بالمجاز أيضاً لما يعقبها من عوض عليها يوم القيامة، وهذا العوض على الآلام التي يصاب بها المكلف وغير المكلف من الأطفال والبهائم هو **واجب على الله سبحانه!** وعليه فإن هذه الشرور تعد خير لما تؤدي إليه من العوض. مع ملاحظة أن إيجاب العوض هو اعتراف ضمني بكونها شرور على الحقيقة وليست مجازاً هذا فضلا عن أنه يعارض أصل العدل عندهم.[2] ويقال للمعتزلة أيضاً أننا لا نحصر حكمته في الثواب والعوض فإن هذا قياس لله تعالى على الواحد من الناس وتمثيل لحكمة الله وعدله بحكمة الواحد من الناس وعدله.[3] وهذا لا يليق بالله سبحانه.

إن موقف أكثر المعتزلة يتمثل في أن الله سبحانه غير مريد لوقوع الشرور التي بفعل الإنسان ليس إرادة شرعية فحسب بل إرادة كونية أيضاً، وهي إذا وقعت فإنها تقع خارج الإرادة الإلهية الكونية.[4] وهذا الموقف وإن تخلصوا فيه من مشكلة نسبة الشر إلى الله عز وجل إلا أن ذلك أوقعهم في مشكلة أخرى، وهي أن جزءاً مما يحدث في هذا العالم لا يقع ضمن مجال الإرادة الإلهية، مما يترتب عليه القول بمحدودية الإرادة الإلهية في عالم هو الأساس من صنعها. كما يترتب عليه أيضا القول بوجود فاعلين في العالم هما الله تعالى والإنسان!، وهذا يناقض أصل التوحيد عندهم، ويقال أيضاً أن قول المعتزلة ليس حلاً لمشكلة الشر بل هو التفاف حولها، فالذي خلق الإنسان وزوده بالقدرة على الإتيان بالشر هو الله، فإرادة الله الكونية واقعة لا محالة.[5]

وتكمن مشكلة المعتزلة أنهم راعوا جانب التنزيه والعدل والحكمة، وأغفلوا الجوانب الأخرى، فوقعوا في الخطأ.

---

[1] انظر: (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، ص١٧٩)، فهي شرور من منظور الحواس والزمن المحدود الفاني وكلاهما لا اعتبار به من منظور الآخرة. (انظر: معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة، محمد أبو هلال، ص١١)

[2] مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة، عبد الحكيم الخليفي، ص٢٣٠-٢٤١، وانظر: معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة، محمد أبو هلال، ص١٥، وانظر: الخير والشر عند القاضي عبد الجبار، د. محمد السيد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٠٦ وما بعدها، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٩-١٩٦٥م، ١٧٧/٨.

[3] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٢٥/٨.

[4] مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة، عبد الحكيم الخليفي، ص٢٣٠، وانظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، ص ١٧٩، وانظر: معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة، محمد أبو هلال، ص١٥.

[5] مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة، عبد الحكيم الخليفي، ص٢٣٢.

خلاصة الكلم في المسألة:

١- إن الشر وقود الخير ومبرر وجوده والإحساس به؛ فعامة الشر وعامة الخير وجهان لعملة واحدة، لا يكون أحدهما دون الآخر.

٢- أن المكاره أسباب الخيرات،قال تعالى:**{كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون}**[سورة البقرة:٢١٦]

٣- لا تظهر بعض آثار أسماء الله وصفاته إلا بخلق المتضادات والمتقابلات، ولو فقدت لتعطلت الأحكام المتعلقة بتلك الصفات وهذا محال.

٤- حب الله لأن يشكر وأن يغفر؛ فداعي الشكر تفاوت الإنعام، قال تعالى: **{وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}** [سورة إبراهيم: ٧]، وأما المغفرة فقد قال صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفسي بيده! لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم**".[١]

٥- إشعار الإنسان بنعمة العافية؛ فالبلاء ينبه الغافل إلى نعمة العافية وفضلها، وأن الحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة.

٦- استخراج محاسن الأخلاق من الناس؛ فالحياة الخالية من كل مشقة وضيق وبلاء، لا يمكن أن تميز الناس بأخلاقهم فيها.

٧- اختبار إيمان العبد؛ قال تعالى: **{ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون}** [الأنبياء: ٣٥]

٨- إلجاء الإنسان إلى التوبة؛ قال تعالى: **{وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون}** [الأعراف: ١٦٨]

٩- الشرور لتكفير الخطايا؛ قال صلى الله عليه وسلم: "**ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتّى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**".[٢]

١٠- إشعارالإنسان بحقارة الدنيا؛قال تعالى:**{وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}**[آل عمران:١٨٥].

١١- عقاب للمفسدين؛ قال تعالى: **{ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين}** [الأنعام: ٦]

١٢- جريان السنن الطبيعية وفق سنن وترتيب؛ فلا يوجد شر في قانون كوني إلا ويكون معه خير أعظم منه وأنفع.[٣]

---

[١] رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٤٩)

[٢] رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٦٤١)

[٣] انظر مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، ص١٢٤-١٤٠.

الخاتمة

وأخيراً:

إن المؤمن بالله لا يشك أن رحمة الله ستنقذه من معضلات الأسئلة وقوارض الشبهات، لكن ذلك لا يكون في كل حين بإجابة تفصيلية عن كل مسألة، وإنما يكون بإجابة عامة مطلقة تستوعب جزئياتها الصغرى، أو هي مفاتيح للإجابة تحتاج نظراً وجهداً من المكلف. **فنظرة المؤمن لمسألة الشر تتميز بواقعيتها الواعية، إذ هي تقوم على أركان ثلاثة:**

١- الإقرار بقصور العقل البشري ومحدودية أدواته ومجاله.

٢- استمداد الحكم الإلهية من الوحي بنصوصه وإشاراته، وما نعرفه يدلنا على أنه هناك قطعاً حكماً أخرى نجهلها.

٣- العلم بكمال الله سبحانه، وكمال حكمته التي تخفى علينا في الجزئيات، مع عدم وجود المانع العقلي الذي يحيل مثل هذا.[١]

وعندما يركن المؤمن لمثل هذا فلا يضره ما فاته بعد ذلك، وقبل الختام أوصي بالاهتمام بدراسة هذه المسألة، واستيعاب أصولها وفروعها من قبل طلاب العلم المختصين في علم العقيدة، حيث يكثر السؤال عنها في المجالس والمنتديات، وإن ضعف الإجابة من المختص في المجالس يولد إشكالات كبيرة، وعدم وجود أصل الإجابة يعد مشكلة أكبر. والله أسأل أن يرينا الحق ويزيدنا علما ونفعا وخيرا وهداية.

والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

[١] انظر مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، ص١٥٨ – ١٦٣.

المراجع

١- مشكلة الشر في الفكر الغربي الحديث والمعاصر، أحمد المحمد، جامعة دمشق، كلية الشريعة، ٢٠١١م، رسالة علمية غير منشورة.

٢- مشكلة الشر في فلسفة ريكور، د. سامي شهيد مشكور، وافتخار عبد صالح، مجلة آداب جامعة الكوفة، الجزء الأول، العدد: ١٨، ٢٠١٤م.

٣- مشكلة الشر ووجود الله، د. سامي عامري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.

٤- الجواب عن مشكلة الشر، إعداد اللجنة العلمية في منتدى التوحيد.

٥- مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة، عبد الحكيم الخليفي، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٩٩٧م.

٦- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.

٧- مسألة الشر والسيئات وعلاقتها بالعدالة الإلهية في الخلق من خلال رسائل النور، بن شيه عبد الله، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة الخامسة، يناير ٢٠١٤م.

٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٩- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠- انظر: مشكلة الشر بين الإسلام ومفكري الغرب، أحمد حسن، بحث غير منشور.

١١- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

١٢- تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٣- الشعاعات، بديع الزمان النورسي، ترجمة: إحسان الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

١٤- التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٥- منهاج السُنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٦- معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة، محمد أبو هلال، مدارات فلسفية.

١٧- عجائب القرآن، فخر الدين الرازي، تحقيق: السيد الجميلي، دار البحار، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

١٨- الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
١٩- مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية، دراسة مقارنة في فكر ابن سينا، د. منى أبو زيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
٢٠- مجموع رسائل الشيخ الرئيس، ابن سينا، جمعية دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٥٤هـ.
٢١- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الغزالي، تحقيق: بسام الجابي، الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٢٢- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر.
٢٣- سفر إشعياء، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مارجرجس باسبورتنج، بدون طبعة، بدون تاريخ.
٢٤- الخير والشر عند القاضي عبد الجبار، د. محمد السيد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.
٢٥- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٩ - ١٩٦٥م.
٢٦- مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، ابن فورك، تحقيق: أحمد السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢٧- أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، دار الفنون التركية، إستانبول، ١٩٢٨م.
٢٨- شرح العقائد النسفية، التفتازاني، مكتبة المدينة، كراتشي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
٢٩- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٣٠- غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، تحقيق: حسن عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ب. ت.
٣١- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٩م.
٣٢- McCloskey, the Philosophical Quarterly, Vol. ١٠, No. ٣٩, April ١٩٦٠.
٣٣- Antony flew, There is a God, How the world's most notorious atheist changed his mind, New York Harperone, ٢٠٠٧.
٣٤- Küng, Hans. ١٩٧٦. On Being a Christian, trans. Edward Quinn. Garden City, New York: Doubleday.
٣٥- W. Monotgomery Watt, Suffering in Sunnite Islam, Studia Islamica, No. ٥٠ (١٩٧٩)
٣٦- C. S. Lewis, Mere Christianity, Samizdat, ٢٠١٤.